مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٢ جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦١

طرائف فارس

كانت بلاد فارس عجيبة البلاد التي دخلها الإسلام وتغلغل في احشائها . ورتب بقوانينه جميع اوضاعها ، ذلك لأن بلاد فارس عرفت قبل أن يأتيها العرب فاتحين بالحكمة وسياسة الملك ، واشتهر ابناؤها بالنشاط والذكاء وحسن المأتى . ولا يستغرب الجهد الذي بدأ من فارس في كل الأدوار التي استولت فيها العرب عليها فالشعب الفارسي سلالة امة عظيمة حاكت مدنيتها بيدها على توالي القرون وصبرت على الأيام وتطورت بتطور الدول فلما تأصل الإسلام فيها تأصلت فيها اللغة العربية والأدب العربي كما تأصلت تعاليم الدين وفقهه ، فكان فيهم العلماء والحكماء والشعراء والأدباء على ما كان في الأقطار الأخرى التي تعربت في كل منازعها كالشام ومصر مثلا .

وظلت اللغة العربية في الديار الفارسية نحو عشرة قرون لغة الدولة والعلم والدين وجاء فيها من جلة البلغاء من كانوا مفخرة العرب على الأيام ومنهم من كانوا من اصول عربية نزل اجدادهم في الفتح تلك البلاد الجميلة وما اندمجوا في الفارسية واحتفظوا بلغة آبائهم احتفاظهم بدينهم وعاداتهم واقتبسوا من الفارسية وعادات البلاد ما لم يؤثر كثيراً في خصائصهم الاولى . ومنهم من كانوا اعاجم باصولهم فلما اتقنوا العربية برزوا فيها كأبنائها وخدموها اجل خدمة بعقولهم وأعمالهم والسنتهم وقلوبهم وكم من بليغ عد عربياً محضاً وما هو الا فارسي تعرّب وشغف بالعرب ومدنيتهم واهتدى بالإسلام والقرآن .

امامي الآن كتاب مخطوط نادر اخذه المجمع العلمي العربي بدمشق بالتصوير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشمسي اسمه طرائف الطرف واسم مؤلفه البارع الهروي وهو كتاب طريف في ذاته عالج موضوعاً طريفاً يصح أن يكون منه برهان آخر على ما ادعيناه في مقدمة هذا الكلام من ان الفرس أو علماؤهم وادباؤهم في عشرة قرون كانوا عرباً اكثر من العرب ·

جمع هذا المؤلف في ديوانه هذا الف بيت تصلح للمنادمة والمحاضرة وتستعمل في المجالس والمحافل وتوشح بها ادراج الرسائل واورد فيه ابياتاً لشعراء من أهل القرن الخامس والسادس كأبي الفرج بن هندو والأبيوردي والباخرزي وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابي سعد الهروي · وكان ابو سعد هذا من بلغاء خراسان وعقلائها ترجم له صاحب اليتيمة فقال انه كان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلمات الخطوب وكان متبحراً في النثر مقلاً من قول الشعر وهو القائل :

وكان الصديق يزور الصديـ ق لشرب المدام وعزف القيانِ
فصار الصديق يزور الصديـ ق لبث الهموم وشكوى الزمان

ولقد يلاحظ من يقرأ الشعر العربي الصادر عن خراسان وفارس والعراقين والشام والحجاز ومصر وافريقية والمغرب والاندلس ان الروح العربي المتجلي في الشعراء واحد وان الاقليمية قليلة في اشعارهم لأنهم كلهم يصدرون عن مورد واحد ويتدارسون شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية والاسلام ولذلك يستسيغ كل عربي على اختلاف الاصقاع والبقاع والازمان ما اشتهر من جيد كل شاعر ويولعون بانشاد شعر الافريقيين كما يتنافسون في انشاد شعر الآسياويين ويعدون من اهل بيتهم العظيم كل مجيد سواء كان فارسياً او خوزيا او خزريا او تركياً او بربرياً او قبطياً · وعجيب تأثير هذه اللغة فيمن اقتبسوها وتبنوها ·

لولا ان المؤلف بدأ كتابه بالمعري ونقل شعراً لابن دريد لقلنا ان هذه المجموعة كلها من شعراء بلاد العجم بدأه بقول ابي العلاء المعري :

الا انما الايام ابناء واحد وهذي الليالي كلها اخواتُ
فلا تطلبنْ من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال :

من راعه سبب او هاله عجب ... فلي ثمانون حولاً لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة ... والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

وقال ابوعلي بن سينا:

ادرت في هذه الدنيا وساكنها ... طرفي فأبصرت دارا مابها [1] أرمُ
الواجدون غنى والعادمون نهى ... ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
ليسوا وان وجدوا عيشاً سوى نعم ... وربما نعمت في مثلها النعم
سيان عندي وان بروا وان فجروا ... اذ ليس يجري على امثالهم قلم

وقال ابو علي:

رضيت من الدنيا بقوت وشملة ... وشربة ماء كوزه متكسرُ
فقل لبني الدنيا اعزلوا من اردتم ... وولوا وخلوني من البعد انظر
فما ملك الآفاق يجبي خراجها ... اليه ولا ذاك الأمير المؤمر
بأهنا مني عيشة لو عرفتها ... ولكن اسير الحرص عن ذاك اعور

وقال ابو الفرج ابن هندو :

لا تنكري يا عز ان ذل الفتى ... ذو الأصل واستعلى لئيم المحتدِ
ان البزاة رؤسهن عواطل ... والتاج معقود برأس الهدهد

وقال :

اصاح اتق السلطان لا تقربنه ... فما هو الا في الحقيقة نارُ
ولا تك كالحوّاء يرقي صلاله ... ضلالاً وعقباها عليه دمار

قال :

أرى حاجة الانسان قوتاً وملبساً ... وسائر حاجات النفوس فضولها
فما العمر الا ساعتان فساعة ... تولت وأخرى انت ترجو حصولها
فكم كل هذا الكد من اجل ساعة ... وليس بقينا ان تنال وصولها

(١) ارم ككتف اي احد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الابيات المشهورة :

يتمنى المرء في الصيف الشتا فاذا جاء الشتا أنكرهُ
فهو لا يرضى بحال ابداً قتل الانسان ما اكفره

قال ابن دريد :

وما احد من السن الناس سالماً ولو انه ذاك النبي المطهرُ
فان كان مقداما يقولون اهوج وان كان مفضالاً لقالوا مبذر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم وان كان منطيقاً يقولون مهذَر
وان كان صواماً وبالليل قائماً يقولون زوّاق يرائي ويمكر
فلا تحتفل بالناس في الحمد والثنا ولا تخش غير الله فالله اكبر

قال :

اني لأشكو خطوباً لا اعينها ليبرأ الناس من عذري ومن عذلي
كالشمع يبكي ولا يدري اعبرته من حرقة النار او من فرقة العسل

وينقل البارع مؤلف الكتاب ابياتاً لشعراء لم نعرفهم في هذه الديار ومنهم الشيخ الامام مجد الدين علي بن الهيصم قال :

سأمضي لنصر الحق والشركُ راغم ببيض تقدّ الدارعين ظماء
ومطرورة زرق تروح وتغتدي لنهب نفوس او لسفك دماء
اذا خالطت في الطعن درعاً حسبتها صلال الافاعي في قرارة ماء
فان مت يوماً فالجهاد وسيلتي وان عشت فالطعن الدراك غذائي
فلا زالت الأعداء في شر حالة وكانوا على رغم الانوف فدائي

قال محمد بن منصور :

ما غص بي قط ناد غير مطلوبِ وماء وجهي مصون غير مصبوبِ
اعوذ بالله في سر وفي علن من ان يكون وصالي غير مخطوب

وقال صاحب الكتاب :

فلا تنكريني انني من معاشر لقد اورثوني العلم والفضل والندى
فانا كرام من اكارم معشر ولكن علينا صرف ذا الزمن اعتدى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الشعراء الذين لم يشتهروا (العاصمي) ووصفه بالامير قال في صفة القلم :

وطائر في وكره نائم يوقظه المرء لأوطاره
مختصر الخلقة لكنه تجاوز النجم بمقداره
له جناح بان عن كشحه يطير في الارض بأسراره
حياته في قطع اوداجه وعيشه في قط منقاره
يكرع في مستنقع القار كي يأخذ بالمنقار من قاره

ومنهم الغزي ومن شعره :

يا سيد الوزراء رأ يك في الوغى للملك لامهْ
في الفضل فقت ابن العميـ ـد وفي الندى كعب بن مامه
من ذا يصدك عن خلا لـ ـك بالمكارم مستهامه
كرم السجية خلقة لا تُسلب الطوقَ الحمامه
أتراك ترضى ان اقول والزم الدهر الغرامه
وعد الوزير بخلعة ميعادها يوم القيامه

وقال البارع الفوسنجي :

وجود المجد في الدنيا عزيز ولا يحظى به الا مهذبْ
و كيف يفيد مجد المرء فيها وكل مهذب فيها معذب

وردد في باب شكاية الدهر لأبي العلاء المعري — ولعله ابو العلاء السروي :

فوق العقول تصرّف الأزمانِ ما المرء الا نهزة الحدثانِ
اسعى وجهد جاهد وتقلب حالا بحال ثم كل فانِ
ان لم تجد سبب الخلود فكل ما ابرمته ونقضته سيان
ما حيلة الإنسان في مأموله والعجز آخر حيلة الإنسان
ولقد منيت بهمة طماحة وعثار جد ليس يتفقان

وروى قول من قال :

أبا العلا يابن سليمانا عماك قد اولاك احسانا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انك لو ابصرت هذا الورى لم ير انسانك انسانا

وقال :

ولما رأيت الدهر لم يرع حرمة لفضلي وآدابي وعلمي وموضعي
رضيت بجور النائبات وحكمها فقل لصروف الدهر ماشئت فاصنعي

وقال الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب اسرار البلاغة وهو مما اشتهر كثيراً :

كبر على العقل يا خليلي ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حماراً تعش بخير فالسعد في طالع البهائم

وقال :

تسلّ فليس في الدنيا كريم يلوذ به صغير او كبيرُ
قريع المجد ليس له انيس وحزب الفضل ليس له نصير
ولا احد من الاحرار الا كسير يد النوائب او اسير
ولا امر ينفذه امير ولا ازر يشدده وزير

وقال :

وقالوا يَقتل الدجالَ عيسى ويملك بعده الدنيا سنينا
فكيف جرى على العكس ابن عيسى مضى وتصدر الدجال فينا

وقال :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
ان الوزير بلا ازر يشد به مثل العروض لها بحر بلا ماء

ومما روي في باب التهاني والتعازي والواقعات :

لا تسهرنّ اذا ما الرزق ضاق ونم ما دمت في ظل أمن ساكن البالِ
فبين غفوة عين وانتباهتها يقلب الدهر من حال الى حال

وقال :

لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب على خمولك ان ترقى الى الفلكِ
بينا ترى الذهب الابريز مطرحًا في الترب اذ صار اكليلاً على ملك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال :

يقولون لي قد شخت فارجع عن الصبا فقد لاح صبح في القذال عجيبُ
فقلت لأصحابي دعوني ولذتي فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال :

ايا بومة قد عششت فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها
رأيتِ خراب العمر مني فزرته ومأواك من كل الديار خرابها

وقال :

كذا عادة الدنيا فهل انت صابر خطوب تفاجينا وموت يكابرُ
كفى عظة ان كلما جئتَ بلدة تلقتك من قبل البيوت المقابر

وقال :

فان اك في الشباب نعمت وصلا ففي شيبي بنار الهجر اصلى
كذا السربال تلبسه جديدا ويحرق في المشاعل حين يبلى

هذا ما اتسع له المجال من نموذجات الشعر العربي الذي نظم في فارس اقتبسناه من ذاك المخطوط النادر الذي ظفرنا به . وعلى ذكر المخطوطات العربية أرى أن اذكر مثالاً جميلاً من حرص أهل ايران الى اليوم على الكتب العربية وربما كان المحفوظ منها هناك اكثر من كل قطر عربي بل اكثر من مصر سيدة الأقطار العربية . ففي طهران عاصمة ايران اليوم وكانت تعرف قديمًا بالري اربع خزائن عظيمة خزانة حاجي السيد نصر الله التقوي وخزانة قصر كلستان وخزانة مجلس النواب وخزانة سپاهسالار وفي اصفهان عدة خزائن للأفراد ومنها خزانة أُلفت . وفي مشهد الرضا في طوس خزانة الرضوي وفي خوزستان خزانة وفي دزپول خزانة ظهير الإسلام وفي سبزوار خزانة السبزواري واكثرها كتب في الحكمة وفي قُم خزانة مدرسة الفيضية . وهناك كما قلنا عدة خزائن للافراد يحتفظون بكتبهم العربية وربما كان أصحابها لا يحسنون العربية كثيراً ويرون ابقاءها في بيوتهم من علائم السراوة والشرف والمروءة .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net